جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الندوة العلمية: طوفان الأقصى في الشعر الجزائري

يوم 08 شعبان 1445هـ الموافي لـ 18 فيفري 2024

المحور الأول: تجلّيات طوفان الأقصى في الشعر الجزائري الفصيح.

عنوان المداخلة:

تجليات أثر الحرب في التصوير الشعري الجزائري

دراسة فنية لقصيدة "عتب من تحت القصف" للشاعر نجيب جحيش.

الباحثة: أمينة بوزيد

الدرجة العلمية: سنة ثالثة دكتوراه

التخصص: نقد عربي قديم

الجامعة: محمد لمين دباغين سطيف 2

الهاتف: 0676019087

البريد الإلكتروني: bouzidamina340@gmail.com

الملخّص:

تهدف الدراسة إلى تتبّع أثر الحرب الأخيرة على قطاع غزة، من خلال استنطاق النص الشعري باعتباره أداة فاعلة في تصوير مشاهد طوفان الأقصى من جهة، ورسم تجليات العدوان الصهيوني على الشعب الغزاوي

من جهة أخرى، معتمدين قصيدة "عتب من تحت القصف" للشاعر الجزائري نجيب جحيش والتي كانت وليدة آثار هذه الحرب.

معتمدين المنهج الوصفي التاريخي، في إطار خطة بحث مكونة من مقدمة ومبحثين؛ طرح الأول مفهوم التصوير الشعري، وجاء الثاني تحت عنوان تجليات أثر الحرب في التصوير الفني لقصيدة عتب من تحت القصف. وصولا لخاتمة أوجزنا فيها أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية:

طوفان الأقصى _ غزة _ الحرب _ الصورة الشعرية _ دراسة فنية.

Abstract:

The study aims to track the impact of the recent war on the Gaza Strip By exploring the poetic text as an effective tool in depicting the scenes of the Al-Aqsa stom on the one hand, and drawing the manifestations of Zionist aggression against the Gaza peoples on the other. We adopt the poem" the threshold from under the bombing " by the Algerian poet Najib juheish, which was the result of the effects of this war.

We have taken the historical descriptive approach as our reference, This research consists of an

introduction and two sections: The first presented the concept of poetic photography, and the second came under the title of manifestations of the impact of war in the artistic depiction of the poem of the threshold from under the bombing. To reach a conclusion in which we summarized the most important results.

Key words: Al-aqsa strom_gaza_the war_poetic image_ technical study.

مقدمة:

تُعدّ القصيدة الجزائرية عالما من الرؤى الإنسانية التي سعى من خلالها الشاعر إلى تصوير أهمّ القضايا التي تخدم أمّته ودينه من جهة، وتسعى للعمل النضالي -في أدق تفاضيله-من جهة ثانية.

وقد مثّلت القضية الفلسطينية واسطة العقد والحافز الملهم لدى العديد من الشعراء، فسعى كل منهم لتصوير مشاهد العدوان المتوالي على القطاع والضفة والقدس، وتزامنا مع ثورة طوفان الأقصى التي تشهدها غزة اليوم انبرى الشاعر الجزائري قارضا لأحداثها البطولية تارة، ومُصورا مشهد الإبادة التي ينتهجها الكيان الصهيوني كردٍّ فعل على المقاومة في القطاع.

ونظرا لأهمّية الموضوع جاءت ورقتنا البحثية لتتبع تجليات أثر الحرب على غزة من خلال اختيارنا لقصيدة "عتب من تحت القصف" للشاعر الجزائري نجيب جحيش، دراسة لعمق التصوير الشعري والجمالية الفنية في رسم مشاهد أثر هذه الحرب.

فهل وفّق الشاعر الجزائري في رسم مشاهد هذه الحرب على قطاع غزة؟ وكيف كانت تجليات أثرها في التصوير الشعري لديه؟

للإجابة على هذه الإشكالية وغيرها اعتمدنا خطة بحث مكونة من مبحثين:

_**المبحث الأول:** مفهوم التصوير الشعري.

_**المبحث الثاني:** تجليات أثر الحرب في التصوير الفني لقصيدة عتب من تحت القصف.

وصولا لخاتمة أوجزنا فيها أهم ما توصلت إليه الدراسة.

المبحث الأوّل: مفهوم التصوير الشعري

يُمثّل الشاعر منذ القديم لسان حال القبيلة والمنافح عليها، وما كانت القبيلة أن تحتفل إلاّ بولادة شاعر يذود على حماها ويُسجّل للوجود تاريخها ومناقبها، فكان الشّعر ولايزال علم العرب الأوّل دون منازع.

فقامت البنية الشعرية على فيافي اللغة والقافية والتصوير؛ هذا الأخير الذي احتل الأهمية البالغة في أبحاث الدارسين لما له من أثر ينعكس جماله على باقي القصيدة وكُدّ الركن الأساس لاكتمال مفهوم الشّعر

العربي فعدّ الجاحظ الشعر «ضرب من النسج وجنس من التصوير»[1]، فالقصيدة المحكمة الجيدة هي تلك التي يعمد فيها صاحبها لإجادة التصوير ورسم المشاهد التي يرتضيها في أبلغ الصور الشعرية، ودنو المشهد التصويري في القصيدة الواحدة دنو كلي لوزنها في الساحة النقدية والبلاغية.

وإن اختلف النقاد الأوائل وأهل البلاغة على ضبط المصطلح في دقته اليوم (الصورة الشعرية) إلاّ أنّهم ذهبوا بالشكل مذهبه، واحتكموا لدلالته على التصوير؛ «فذكروا فظة صورة وإن لم يكونوا يعرفونها بالمصطلح النقدي الحديث وهي عندهم الشكل»[2]

كما أنّ التاريخ التعريفي لتطور المصطلح يُثبت العديد من الاعتبارات ويرجح مختلف الأضرب التأصيلية للفظة في أنّ الصورة الشعرية القديمة لم تكن بهذا الاصطلاح «فلقد سقطت كلمة الصورة – بمعناها الفلسفي – إلى العرب مع الفلسفة اليونانية، وبالذات الفلسفة الأرسطية، حيث دعم الفصل بين الصورة والهيولى في هذه الفلسفة فكرة المعتزلة القائلة بالفصل بين اللفظ والمعنى في تفسير القرآن الكريم»[3]، على هذا الأساس المفهومي وغيره طفق الباحث العربي يقعّد لتاريخ الدلالة المصطلحية للصورة باختلاف المفاهيم وتعدد الآراء النقدية لنشأتها.

---

[1] عمرو بن بحر الجاحظ: «الحيوان» ، ج3، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة، ط2، 1965، ص67.

[2] الأخضر عيكوس: مفهوم الصورة الشعرية قديما، مجلة الآداب، ع3، سنة 1996، قسنطينة، ص 69.

[3] علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري – دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، ط1981،2، ص–ص15–16.

ولم تخلُ الصورة في العصر الحديث من تعدد المفاهيم، أو اختلاف تعريفاتها، ولعلّ اقتباس المفهوم الغربي للدلالة العربية على المصطلح كان السبب الرئيس في تشعب التعريف أكثر فأكثر وزئبقية ضبطه التي حالت دون الاتفاق العام على مفهوم شامل، كما أنّ ولادة المذاهب الأدبية الغربية كرد فعل على بعضها البعض وذلك منذ أيام الكلاسيكية القديمة أثّر هو الآخر في تحديد التعريف.

فعلى سبيل المثال «بالغ الرومانتيكيون أيّما مبالغة في تقدير قيمة الصورة في الشعر فجعلوها معيارا للعبقرية الشعرية الأصيلة.»[4]

كما نجد أيضا أصحاب المذهب السريالي يحتفون بالتصوير الشعري "فقد حفلوا بالصورة بوصفها العنصر الجوهري للشعر(...) وقد جاء سارتر بنظرية الوجوديين المتكاملة في الخيال."[5]

لقد مثّل كل مذهب غربي تعريفا منوطا بما يتبناه من آراء ورؤى حول فهمه للصورة، الأمر الذي منح موضوع التصوير الشعري أهمية بالغة وأبعادا دلالية مختلفة وإن اختلفت المفاهيم وتشعّبت التعاريف.

ليحمل التعريف العربي الحديث تباينا هو الآخر في ضبط المفهوم للصورة الشعرية وذلك لاقتناع كل باحث عربي بوجهة نظر معينة، بين متأثر بالغرب ومتأصّل للعرب ومنتهج لما حَسُن من معناه في مأخذ غربي وقوة عربية، وفي هذا يقول جابر عصفور: «إن الصورة الفنية هي الجوهر

---

[4] الأخضر عيكوس: مفهوم الصورة الشعرية حديثا، المرجع نفسه، ص148.

[5] علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري – دراسة في أصولها وتطورها، المرجع نفسه، ص 27.

الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته فتتغير – بالتالي – مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها»[6]

ولعلّ تعريفه للتصوير الشعري أقرب للواقعية النقدية منه لمن خالفه، ذلك أنّ الصورة امتداد فعلي للقصيدة فإن تغيّر مفهوم هذه الأخير تحوّلت دلالة الصورة ومفهومها على غرار «تلك الصور التي تعطي المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغاما، وتصبح المرئيات عاطرة»[7]

وعليه؛ يمكننا القول أنّ التصوير الشعري عرف العديد من التعريفات والمفاهيم المتباينة منذ القديم عند العرب أو الغرب، في صورة واضحة ذات أبعاد دلالية مختلفة سعى كل رأي فيها إلى طرح تصّره الخاص.

المبحث الثاني: تجليات أثر الحرب في التصوير الفني لقصيدة "عتب من تحت القصف".

الشعر ديوان العرب مقولة خطّها الجاحظ وسار على منوالها أهل اللغة والأدب منذ عصره، فهو الوثيقة التاريخية التي يرجع إليها الباحث اليوم ليستقي ما عاشته العرب قديما ويستجلب آثار الأمم ومناقب الشعوب.

هذه المزية التي لا تُعزى لغيره من الفنون؛ وإن هي وصفت فأجادت ذلك أنّ للشعر ما يميّزه من وقع خاص على المتلقي فكان سجِلّ الوقائع والحروب ولك في قرض عنترة في العصر الجاهلي ما يميط لثام الحقيقة لديك وارجع للحدث الحمراء تنبؤك عن وصف المتنبي للحرب بين سبف

---

[6] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992. ص7.

[7] محمد غنيمي هلال:« النقد الأدبي الحديث»، دار النهضة – مصر، دط، 1997، ص395.

الدولة والروم وكذا قصيدة فتح عمورية لأبي تمام وغيرها الكثير في قرض شعراء لرحى الحرب.

وعلى ذياك الأثر سار شعراء الجزائر في العصر الحديث والمعاصر؛ مصوّرين ما تعايشه الدول اليوم من آثار الحروب منافحين عن القضايا الإنسانية والعربية العادلة والتي كانت القضية الفلسطينية أوّلها.

فمع أوّل شرارة لطوفان الأقصى اليوم ارتجل الشعر الجزائري أبيات الفخر مؤكدا لمبدأ الخلود الأبدي لقضية إنسانية (قبل كل شيء) تطاول أشرف القضايا في العالم، مدافعة عن أرض وعرض ودين، وهنا سعى المحتل الصهيوني (كما سعت فِرنسا بالأمس في الجزائر) لاستجلاب جيوش الأمم الغربية تنكيلا بالشعب الفلسطيني في صور من الإبادة على قطاع غزة لا لشيء إلاّ رفضا منها حق الحرية وتقرير المصير.

فجاء الشعر مناضلا هو الآخر مصورا بعدسة اللغة حقيقة ما يحدث للشعب الغزاوي مصورا أثر الحرب على حياة شعب بأكمله، فأتت صرخة الجزائر في قصائد مختلفة كانت من بينها "**عتب من تحت القصف**" ترجمان لصوت شعب يعيش الموت البطيء بسبب سياسة الدول الاستعمارية.

وخدمة منا للقضية الفلسطينية جاءت ورقتنا البحثية لتتبع مشاهد أثر هذه الحرب في التصوير الشعري الجزائري.

نص القصيدة:

عَتْبٌ مِن تحتِ القَصْف!

يـٰأَيُّها البَحْرُ صِرْ عذبًا وهَاك دَمي * أنا ابْنُ غَزّة؛ هَل حُدِّثْتَ عن ألمي؟

هَبْ نارَ مِلحِك ذا القُربَىٰ لِينفُثُها * في عُمقِ جُرحِيَ بالخُذلان والبَكَمِ!!؟

جُرحُ الأحِبّة جُرحٌ مَا لهُ شَبَهٌ * بين الجِراح ولو لم يَنْبجِسْ بِدَمِ

ما ضَرّني لهَبُ الفُوسفُور يَنهشُني * أَلِفتُ جُرحي، غَمستُ الخُبزَ في الألمِ

أَلِفْتُ أدَعُ طفلي حين يَسألُني: * هَل سوف ننجو؟ فلا أَقْوَى على: "نَعَمِ"!

أَلِفتُ أحمِلُ نَعشًا وهْو يهمسُ لي: * أنت الشّهيدُ الّذي يسعىٰ علىٰ قَدم!!

دَفَنْتُ كُلّ صَفِيٍّ كانَ عَاهَدَني * بأن نَدومَ، فَخَلّاني ولمْ يَدُمِ

دَفَنتُ طفلا... وأشلاءً... دَفنتُ أبي * دَفنتُ ظلّي... لأنّي مِتُ في حُلُمِي

سقطتُ عَن صهوة التّاريخ فارتطَمَتْ * بِيَ العُرُوبةُ في فوضىٰ مِنَ الخِيَمِ!!

فَرَرتُ منها إلىٰ مَوْتِي فأنكَرَني * وقال قُمْ، ليسَ ذا مثْواك في الرِّمَمِ

نَفَضْتُ شُؤمي فهذا الحُلمُ أوّلَهُ * قلبي نُزوحًا، وصَاح: انْهَضْ مِنَ العَدَمِ

قُمْ فَادْفِنِ النّاس، لا تستجْدِ مِن أحَد * دمعًا، فأنت قتيلُ العُرْبِ والعجَمِ

دَفَنْتُ أختًا صباحًا جُرحُها عَطِرٌ * يفُوح بالغضَبِ المَوّارِ والنّقَمِ

كان اسمها "جَنَّةً"، في كفّها كتَبَتْ * في أرضِ "غَزّةَ" مِيلادي ومُختتمِي

صلّيتُ فَوقَ رُكامٍ حين لم يَجِدوا * بِهِ أنينًا، لأنّ الرّيحَ رِيحُ دمِ

أَلِفْتُ كُلَّ جِراحٍ كُنتُ أَرْهَبُها * صَمَدْتُ حَتّىٰ رأيتُ الجُرحَ كالنِّعَمِ!!

ولا كَجُرحيَ مِن قومي وقَد عَجَزوا * إلّا عنِ الشّجب، والتّنْديدِ والقِمَمِ!!

بنِي العُرُوبة والإسلامِ ما لكمُ؟ * أينَ التَّواصي بذي القُربىٰ وذي الرّحِمِ؟!

مَاذا تقُولونَ يومَ الحَجُّ يجمعُكم * لدىٰ مقَام رسُول اللّٰه في الحَرمِ؟!

أو في القيَامة يلقَاكم ويسألُكم * أمَا خَشِيتُم جَزاءَ الظُّلْمِ بالظُّلَمِ؟!

ماتَ الصّغارُ خِداجًا –بعدُ ما رضعوا– * في الحاضناتِ، ولو عاشوا فَلليُتُمِ!!

وتنظُرون وبطشُ القصف يسحقهم * طفلا وشيخِا، ولمْ تأْسَوْا لما بِهِمِ؟!

ويقطَـعُ الغَاصبُ المُحتَلُّ قُوتَهُمُ * وتنعَمُـونَ بِشَتّى البَـذْخ والتُّخَمِ؟!

للطّائراتِ وَقُودٌ مِن حقُولِكُمُ * ولابْنِ غَزّةَ ليْلُ القَصفِ والحِمَمِ!؟

وتشربونَ دماءَ الحاضناتِ إذا * شَحّ الوَقُودُ، فدبّ الموتُ في اللُّحَم؟!

شَكَا إليَّ رضيعٌ بَينهُم ويَكىٰ * مِن عَجْزِكُمْ، كيفَ صِرتمْ أرذلَ الأمَمِ؟!

إيــهٍ "محمّـدُ" يا نِبْراسَ أُمّتنا * هَا كيفَ صِرنا، نَعُدُّ الذُّلَّ في الشّيَمِ؟!

وكيف صرنا إذا حاقتْ بطائفةٍ * منّا المكـارِهُ لُمْنـاها على الشَّمَمِ!!

أليسَ دينُكَ دينَ العِزِّ واوَجَعي؟! * عُذرًا رسولي، فقَولي ذا من الألَمِ!!

شَـرِبْتُ مِلْحَ المحيطِ الأطلَسـيّ أنا * لأنّهم منَعُـوني ما يَبُلّ فَمِي**

إذْ حَاصَرُونِيَ أعدائي، وظَاهَرَهُم * ذَوُو القَرابة، قُلتُ اللّٰهُ مُعتَصَمي

فَوّضْتُ أمري، ولقّنتُ الشّهادةَ مَن * حَولي ونَفسي، وأَصرَرنَا على القَسَم:

مهمَا تُركِنا.. قُصِفْنَا وحدَنا، نُسِفَتْ * بنَا البنايَاتُ، لن ندعُو إلى السَّلَمِ

في "غَزّةٍ" قَد شَتَلْنا غَرسَ عِزّتنا * كالنّخلِ يُروىٰ بدمعٍ نـاضحٍ ودم

في "غَزّةٍ" عَيشُنا، أو إن نمُتْ فَبِهَا * والموتُ أقربُ من "سينا" ومِ الحَرَمِ

أوْ هِجْـرةٌ فَإلى الأقصَـى نَطـوفُ به * كالمـوجِ نغسِلهُ مِن كلِّ مُقْتَحِمِ

ميعَادُنا قُدْسُنا، مَسرىٰ مُحمَّدِنا * مَن جَاهدَ الظُّلمَ بالأفعَال والكَلِمِ.[8]

[8] **نجيب جحيش/ الجزائر. 14 نوفمبر 2023م.**

إنّ المُدقّق لقصيدة يلاحظ سطوة التصوير في كل بيت منها، ذلك أنّ تماثل أنواع الصور الشعرية بين حسيّ وذهني يمثّل أكبر نسبة على الإطلاق، في نماذج تعكس مشاهد آثار الحرب على غزة.

افتتح الشاعر قصيدته بغرض إنشائي متمثّل في نداء وجداني أقرب منه للحسي، ذلك أنّ لوعة الوحدة الطاغية ارتحلت بالشاعر لصحبة البحر، وهو **الرمز الشعري** الذي يعتمده الشعراء للدلالة على الحالة النفسية الحزينة والتي يعبرون عليها في أغلب الأحيان بالبحر بين مده وجزره وما تحويه كوامنه، ليترجى الشاعر البحر في صورة تشخيصية حسية فكأنّما البحر شارٍ والشاعر البائع ليقدم له دمه عسى أن تتحوّل ملوحته إلى عذوبة وهي دلالة تحملنا لمبدأ التضحية والفداء، فكأنّما أبناء غزة اليوم يقدمون أرواحهم ودماءهم كي تتغير حالة القمع الصهيوني لعذوبة الحياة السعيدة التي لا كدر فيها ولا ألم.

ويكمل الشاعر حواره مستعيرا شخصية ابن غزة مكملا مخاطبة البحر في صورة من الحزن والأسى قاصا له لوعة الخذلان العربي من أبناء جلدته الذين تخلوا عن نصرته في أحلك الظروف ليرسم بذلك صورة فنية غاية في الجمال حينما صور الخذلان في هيئة الجرح الحسي المؤلم الذي ما أن تضيف إليه ملح البحر إلاّ وازداد ألما، فكذلك وقع فعل العرب على أهل غزة.

مؤكدا اعتياده الألم الذي ما بات يؤثر فيه شيئا، فحتى لهب "**الفوسفور**" الملقى على أهل القطاع أصبح أمرا روتينيا، ليصوّر بذلك قهر المشهد

الغزاويّ في الحصول على لقمة عيش تسدّ رمقه، فيتحوّل الألم طعاما يسدّ به أهل غزة جوع بطونهم عوضا عن الأكل وذلك في قوله **(غَمستُ الخُبزَ في الألمِ)**.

قتلت الحرب في أهل غزة كل شعور بالحياة، فكأنّما توقّف الكون عن دورانه المعتاد، أو حتى منحهم أسباب هذه الحياة، لقد غاب حسّ التفاؤل من المكان فحتى الطفل في غزة مزيج من التساؤلات اللامنتهية بين واقع مميت ورغبة بشرية في الاستمرار...غريق في بحر الحياة يرتجي حبل نجاة من والديه لكن مشهد الحرب لا يسمح بالتفكير في المستقبل.

حتى الجمادات في غزة كائن حي لدى أبنائها، فكل شيء ينطق عن كوامن نفس هذا الشعب لتبدأ حوارية استثنائية في القصيدة بين نعش الشهداء وحامله:

أَلِفتُ أحمِلُ نَعشًا وهْو يهمسُ لي: ** أنت الشّهيدُ الّذي يسعىٰ علىٰ قَدم!!

في **صورة إستعارية** بليغة؛ فكأنّما النعش إنسان يهمس ويتكلم، ليخاطب الغزاوي أنّه الشهيد القادم الذي يُحمل عليه.

رسم هذا العدوان وهذه الحرب جروحها العميقة، وفرّقت أنس الأسرة الواحدة فبعثت بكل فرد لمكان، وكان أقسى آثارها أن ختمت اجتماع المحبين، ففي كل أسرة من غزة فقيد وشهيد؛ أم أو أب أخت أو أخ، فجاءت **صورة الفراق** أشدّ الصور تأثيرا في القصيدة ليصل الفقد لأحلام

ابن غزة ذاتها فكأنّها احدى أفراد أسرته ليدفن ذاته وروحها المتجلّية في ظله الذي يتبعه في مشهد صارخ ينمّ عن اللوعة والقهر، يقول الشاعر:

دَفَنتُ طفلا.. وأشلاءً.. دَفنتُ أبي ** دَفنتُ ظلّي... لأنّي مِتُ في حُلُمِي

لتطفو على سطح المشاهد صورة شعرية أخرى متمثلة في قول الشاعر:

سقطتُ عَن صهوة التّاريخ فارتطَمَتْ ** بِيَ العُرُوبةُ في فوضىٰ مِنَ الخِيَمِ

مشبها التاريخ بالجواد الذي يُمتطى فكأنّ للتاريخ صهوة سقط منها ابن غزة ليجد نفسه في مكان غير مكانه يحدّه النزوح ويعايشه، مصوّرا بذلك واقع الأمة العربية المسلمة التي كان لها تاريخ زاهر يُسطّره القادة الفاتحين على خيول العزّة والكرامة غير أنّ زمن ازدهارهم ولى ليسقطوا من صهوة التقدم إلى التشتت والفرقة والفقر.

ولم تقتصر الحوارية عند الشاعر على النعش فقط، بل تعدّته للموت ذاته، الموت الذي يُشكّل عنصر الفشل وخسارة الحرب، رغم كل آثار لهذه الحرب إلاّ أنّه يرفضه نهاية ابن غزة ويرفض تقبّله، بل رمى به للحياة وإن عاشها مكابدة، فكأنّما الموت إنسان له لسان يخاطب على سبيل **الاستعارة المكنية** يأمر ابن غزة بالقيام إذ يقول:

فَرَرتُ منها إلىٰ مَوْتِي فأنكَرَني ** وقال قُمْ، ليسَ ذا مثْواك في الرِّمَمِ

ألف الشعب الغزاوي حياة الألم والجراح والحروب، وفي **صورة تشبيهية** يصور لنا الشاعر الجرح نعمة فيقول:

أَلِفْتُ كُلَّ جِراحٍ كُنتُ أَرْهَبُها ** صَمَدْتُ حَتّىٰ رأيتُ الجُرحَ كالنِّعَمِ!!

بعثت الحرب بنفسية ابن غزة للحزن العميق والوجل في الكثير من المواقف إلاّ عن نفس متشبّعة بروح الإسلام وتعاليمه، تلك الروح التي سعى الشاعر لاستنطاقها وتوظيفها في صورة من العتاب واللوم دفعت به لمخاطبة أبناء الإسلام والعرب في كل مكان، مذكّرهم برابط الأخوة في الدين ونخوة العربي المنافح عن بني جلدته وعشيرته، فأنشد:

بنِي العُرُوبة والإسلامِ ما لكمُ؟ * أينَ التَّواصي بذي القُربىٰ وذي الرّحِمِ؟!

مَاذا تقُولونَ يومَ الحَجُّ يجمعُكم * لدىٰ مقَام رسُول اللّٰه في الحَرمِ؟!

أو في القيَامة يلقَاكم ويسألُكم * أمَا خَشِيتُم جَزاءَ الظُّلْمِ بالظُّلَمِ؟!

وينتقل الشاعر في هذه الأبيات إلى صورة المناجاة الصوفية العرفانية التي كثيرا ما ينتهجها المتصوفة في مدائحهم ليرتحل في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى مثوله في التصور الشعري ومخاطبته في نوع من الشكوى عن حال أمته اليوم، فيقول:

إيــهٍ "محمّـدُ" يا نِبْراسَ أُمّتنا ** هَا كيفَ صِرنا، نَعُدُّ الذُّلَّ في الشّيَمِ؟!

وبهذا البيت ينتقل الشاعر إلى ختم قصيدته في مشهد يومي لأبناء غزة ... إنّه مشهد الشهادة التي تُصوّر للعالم أجمع لحظة الارتقاء من عالم المادة والحزن إلى عالم الروحانية والسعادة، إنّه المشهد الوحيد الذي كان تأثير هذه الحرب فيه إيجابا لا سلبا في قلب كل غزاويّ، مرددين القسم المتوارث من جيل إلى جيلاً أن لا سلم مع المحتل ولا استسلام في وجهه وهنا نجد الشاعر يُشبّه تجذّر العزة والكرامة في نفوس أهل غزة بتجذّر النخل في أصوله، كما يشبّه الدموع والدم المتدفّق من جسد كل غزاوي

بالماء الذي يسقي أرض النخل ليشمخ عاليا في سماء الوجود، وذلك في قوله:

في "غَزّةٍ" قَد شَتَلْنا غَرسَ عِزّتنا ** كالنّخلِ يُروىٰ بدمعٍ ناضحٍ ودم

ليصل بنا التصوير الشعري إلى آخر الأبيات إذ يؤكد الشاعر البعد الديني والعقدي في قلب كل مسلم بتحقق النصر والتمكين لأهل الحق في صورة كنائية متداولة في ذكره لمسرى محمّدنا وهو يقصد المسجد الأقصى فقال:

ميعَادُنا قُدْسُنا، مَسرىٰ مُحمَّدِنا ** مَن جَاهدَ الظُّلمَ بالأفعَال والكَلِمِ

الخاتمة:

إنّ المتتبع لقصيدة "عتب من تحت القصف" للشاعر الجزائري نجيب جحيش يلحظ العمق الدلالي والبعد التصويري لأثر هذه الحرب منذ طوفان الأقصى والعدوان الغاصب على غزة وأهلها، وهو الأمر الذي وصلت إليه الدراسة من خلال:

_اتّسمت أغلب أبيات القصيدة بالتصوير الشعري لتجليات آثار هذه الحرب على قطاع غزة.

_تنوعت الصور الشعرية في القصيدة بين الاستعارية والتشبيهية.

_وصول الشاعر إلى التصوير الوجداني والتجسيد والتشخيص دليل على القيمة الفنية والجمالية للقصيدة.

_مثّل الأثر النفسي بُدا غالبا على جُلّ القصيدة.

_وفّق الشاعر في نقل المشاهد المختلفة للشعب الغزاوي أثناء الحرب.

_أكّد الشعر الجزائري مثل كل مرة بُعده النضالي في نصرة القضايا العادلة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصدر:

نجيب جحيش: قصيدة "عتب من تحت القصف"

المراجع:

1-عمرو بن بحر الجاحظ: «الحيوان» ، ج3، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة ، ط2، 1965.

2-علي البطل: «الصورة في الشعر العربي حتى القرن الثاني الهجري – دراسة في أصولها وتطورها»، دار الأندلس، ط1981،2.

3-جابر عصفور: «الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب» المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.

4-محمد غنيمي هلال: «النقد الأدبي الحديث»، دار النهضة – مصر، دط، 1997.

المقالات:

5-الأخضر عيكوس: «مفهوم الصورة الشعرية قديما»، مجلة الآداب، ع3، سنة 1996، قسنطينة.